حوار صريح حول السحر والشعوذة

عرض حالة: كانت الشكوي الاساسية لديها ولدي الأهل هي عدم الاستقرار علي حال بمعني اوضح كانت تعاني منذ فترة من حزن شديد وعدم الإحساس بالاستمتاع بأي شيء وحزن وانطواء. ثم تعاني بعد ذلك من مرح شديد وكثرة فى الكلام وقلة النوم وهذا كان يسبب إزعاجا لكل من حولها. وكان التشخيص الاكلينيكي النفسي. إنها تعاني من اضطراب ثنائي القطب الذي يعني فترات من الاكتئاب وفترات من الهوس وبينهما فترات شفاء تام.

وبعد خضوع المريضة للعلاج الدوائى وايضا خضوعها إلي جلسات العلاج النفسي لمدة طويلة كانت النتيجة تحسنا شديدا ومن ثم أدي ذلك إلي نزولها بيئة العمل بعد معاناه شديدة من رفض المحيطين بها النزول إلي أي مكان.

هذه المريضة قد لجأت إلي الطب الشعبي والسحر والشعوذة قبل الطب النفسي وكان السبب الرئيسي للذهاب إلي المشايخ هو: فشل مواضيع الزواج أو الخطوبة أكثر من مرة بالإضافة إلي عدم استقرارها علي حال.

وكانت تذكر أثناء الجلسات ما هو آت بالنسبة للعلاج عند الشيوخ:

البداية: كان الشيخ يأتي إلي المنزل ويبدأ بقراءة بعض الأشياء الغريبة أعتقد أنها تكون طلاسم لا تعرف لها معني ثم تشعر المريضة بأنها فى حالة غياب عن الوعي أو شبه مغيبة. يبدأ الشيخ فى أنه يقول إن هناك عملا لها ويركبها جن ولابد من خروجه.

ثم يبدأ ويمد يده علي جسم المريضة حتي يحرك الجن إلي الأيدي التي تكتب بها المريضة ويبدأ فى سؤاله: من أنت؟

ما اسمك؟

ما ملتك؟

من أرسلك إلي الجسد هنا؟

ما المطلوب منك فعله فى هذا الجسد؟

ويبدأ الرد علي الأسئلة من خلال أن الايد تكتب فقط لاغير ليس ردا. وبعد الاستفسار علي كل الأسئلة يقول الشيخ ان العمل من فلان أو فلانة احذروها.. وعندما لا يكتب الرد يقوم الشيخ بالضرب وتقول المريضة إنها لا تحس ذلك إطلاقا.

ويبدأ مرة أخري فى عمل أي شيء آخر علي حسب. وبعد ذلك يقوم بتفويق البنت.. ثم يعطي لها بعض الورق المكتوب بالخط الأحمر والكلام غير مفهوم بالمرة أي طلاسم.. ويقول ضعي ذلك الورق فى ماء وبعد ذلك ضعيه فى البلكونة قبل الفجر ثم أدخليه بعد ذلك وأخرجي الورق من الماء. والمقصود أن يكون الكلام الأحمر نزل فى الماء ثم سخني هذا الماء وأضيفي فيه ملحا ثم قومي بالاستحمام به وهكذا.

ومن الغريب أيضا فى مثل هذه المواضيع.. ما هو معروف من وجود (عمل سفلي) ويعني هذا المصطلح: هو العمل التي تقوم به سيدة بالأخص وليس رجلا لإيذاء شخص آخر وتذهب هذه السيدة إلي شيخ أو قسيس حتي مع العلم أنها من الممكن أن تكون مختلفة الديانة.. وليس من الضروري مثلما كان معروفا من زمن أن يكون لديه شيء من الشخص المطلوب وضع العمل عليه (أطر).

يكفي صورة أو مجرد رؤيته مرة واحدة مع ذكر اسم الشخص واسم والديه وبعد ما يتم كل ذلك يكون العمل قد أرسل إلي صاحب نصيبه.

والمعروف فى الوسط الشعبي ان العمل السفلى هو أشد تماسكا وبقاء من أي عمل آخر ويظل أطول فترة ممكنة... أما عن باقي الاعمال فتكون عادية وليست لها قوة العمل السفلي: مثل أخذ رمل من التراب وقراءة بعض الاشياء الغريبة عليه ثم وضعه أمام عتبة منزل الشخص المراد وبمجرد عبور الشخص عليه يكون تم مفعول العمل وذلك شديد الخطورة أيضا كما تقول المريضة. (ينحس الشخص طول العمر) .. وأيضا مثل رش ماء أمام العتبة المطلوبة. وايضا البعض يستخدم قشا فى فك العمل عن طريق نظر الشخص الذي مشكوك فيه أنه عمل العمل إلي القش ورميه فى أنحاء المكان وهكذا من طرق غريبة فى فك وفعل الأعمال وكل ذلك يقف علي مدي جهل الشعب بالعلم وأمور الدين.

كل هذه المواضيع تحمل فى مضمونها معاني كثيرة وتختلف هذه المعاني بين مختلف الطبقات بين الطبقة العليا والطبقة المتدنية، الطبقة الثرية والطبقة الفقيرة، الطبقة المتعلمة والطبقة الجاهلة.

ولكن الغريب وعلي الرغم من

الاختلاف بين الطبقات إلا أن الكل يلجأ إلي الخرافة والسحر والشعوذة بعد أو قبل فشله من وجهة نظره فى إيجاد الحل الأمثل لمشكلته أو مرضه.

السحر والشعوذة:

يعتبر السحر والشعوذة من المعتقدات والممارسات المعقدة التي تهتم بها المجتمعات القبلية التي تتميز بالبساطة والحياة البدائية. من معتقدات هذه المجتمعات بأن الحوادث المؤسفة تقع لهؤلاء الأشخاص الذين تضطرب علاقتهم الاجتماعية والأخلاقية مع الأشخاص الآخرين.

وهناك قبائل تعتقد بأن اضطراب وسوء العلاقات بين البشر يثير غضب الآلهه والأشباح وهذا ما يدفعها إلي جلب الشر والمشاكل للأشخاص المسؤولين عن تعكير واضطراب العلاقات وهناك قبائل أخري تعتقد بأن مصدر الشر والأقدار يرجع إلي وجود السحرة والمشعوذين. ومن أهم الكتب والمؤلفات التي تفسر معتقدات وأساليب السحر والشعوذة كتاب (السحر والشعوذة بين أقوام الأزاندي فى جنوب السودان) الذي ألفه العالم الأنثروبولوجي الإنجليزي إيفان بريجارد فى عام ١٩٣٧.

يقول البروفسور بريجارد بأنه لو أردنا فهم طبيعة المعتقدات والممارسات المتعلقة بالسحر يجب علينا دراسة الحادثة المؤسفة التي يتعرض إليها الفرد أو الجماعة. وهذه الحادثة يمكن تفسيرها وإرجاعها لسلوكية وأخلاقية الفرد الذي وقعت له الحادثة، والحوادث المؤسفة كثيرة ومتعددة أهمها المرض، الموت، الفشل الزراعي، الزلازل والبراكين، الفيضانات والجفاف. ويهتم الشعب الأزاندي حسب قول بريجارد بمعرفة سبب وقوع الحادثة المفجعة لشخص معين دون غيره ووقوعها فى زمان ومكان معينين دون وقوعها فى زمان ومكان آخر.

أما السحر فهو عبارة عن طقوس وأساليب حركية يستعمل الساحر فيها أحيانا بعض المواد بغية إنجاز أهداف تقع خارج نطاق قوة السيطرة الحسية للإنسان الاعتيادي. والمشعوذ هو الشخص الذي يؤذي الآخرين بطريقة غير مباشرة وسبب إلحاقه الأذي بالآخرين يعود إلي تغلب صفة الكراهية والغيرة عنده.

والسحر هو طريقة وأسلوب تبذل فيه الجهود المتواصلة للسيطرة علي البيئة والعلاقات الاجتماعية، وهو أيضا واسطة يمكن من خلالها محاربة السحرة والمشعوذين وتهديم النجاحات والمنجزات التي أحرزوها من خلال مهنة السحر.

ما هو رأي علم الاجتماع فى الموضوع؟

يعتبر علماء الأنثروبولوجيا أن الشعوذة والسحر شكل من أشكال الثقافة البيئية، وهي جزء من الثقافة الشعبية، ويرون أن "الشعوذة" تتميز بالسرية والحميمية، وأن كل ما يعرض هو المفارقة بين الظاهر والخفي.. وقالوا بأن لجوء رجال الأعمال والسياسيين إلي السحر والشعوذة هو تزكية لهذا النوع من الممارسات وأضافوا أن المظاهر تخفي أحيانا ظروف الإنسان ومشاكله، التي تكشف عند لجوئه إلي "السحرة والمشعوذين"

واعتبروا أن ميدان "الشعوذة" تحول فى مختلف دول العالم إلي تجارة حقيقية، فيها البيع والشراء، وتجلب الأموال، وتم تقنيتها فى إطار مهن معروفة.. وتنامي ظاهرة الشعوذة والسحر يعد مؤشرا حقيقيا علي وجود أزمة ثقافية واجتماعية. وخلصوا إلي أن اللجوء إلي المشعوذين هو محاولة لتغيير قوي العلاقة بين الأطراف المتنازعة.

وأضافوا أن الهواجس والوساوس وراء اللجوء إلي السحرة والعرافين.. وإن اللجوء إلي الشعوذة للتداوي من بعض الأمراض سواء كانت عضوية أو نفسية يرتبط بانعدام الوعي وبالفكر الخرافى فى المجتمعات العربية التي مازالت تؤمن بهذه الظاهرة كممارسة متبعة منذ آلاف السنين. وأن هناك العديد من المواطنين تؤرقهم قلة الصبر والحيلة للشفاء من بعض الأمراض، فيختارون، بعد اللجوء إلي الوسائل العلمية الحديثة، الارتماء فى براثن الشعوذة لإيجاد الحل مهما كانت توهما بأنها ستساعده علي الشفاء مما تعرض له.

رأي الطب النفسي:

ترجع الأسباب التي أدت إلي لجوء عدد من ضعاف النفوس للسحرة والمشعوذين بأنها تعود نتيجة عجز الطب الحديث والأطباء فى الوصول إلي علاج لبعض الأمراض النفسية إضافة إلي التأثير فى الشخصية كالسذاجة والحقد والانتقام مع الجهل بتعاليم الشريعة الاسلامية مع تغليب العاطفة على العقل فيغفل الفرد عن دينه ويتبع هوى نفسه ليحصل على مراده وهنا نطالب بآلية جديدة لمراقبة أسباب تفشى الظاهرة وتدخل الطب الحديث بكل مقوماته للحد منها خاصة أنها باتت تشكل هاجسا كبيرا لدى العديد من الأسر.. وأكدت بعض الدراسات أن حوالى ٧٠٪ من المرضى النفسيين يلجأون للطب الشعبى قبل ذهابهم للطبيب النفسى.

وهناك اعتقاد قوى لدى قطاعات كبيرة من الناس خصوصا المصابين باضطرابات نفسية وأقاربهم بأن هناك قوى خفية تسبب إصابتهم بالمرض النفسى، وهم يتفقون على ذلك وكأنه حقيقة مسلم بها.

ويظل الخلاف فى الكيفية التى يعمل بها الجن أو الشياطين فيتصور البعض أنهم يدخلون إلى داخل جسد الإنسان ويسببون له الاضطراب الذى لا يشفى إلا بخروجهم منه، ويعتقد البعض الآخر أن مجرد المس من جانب هذه المخلوقات يكفى لحدوث المرض، ويرى آخرون أن المسألة هى وساوس يقوم بتوجيهها الشيطان الى ضحاياه عن بعد.. إن الأمراض النفسية والعقلية مازالت مصدرا للشعور بالعيب عند الكثير من الناس، وهذا ما يجعل علاجها صعبا، لأن الكثير من الناس لا يبدأون العلاج إلا بعد فوات الأوان، وربما يذهبون إلى مشعوذ أو دجال بعيدا عن الأهل والأقارب، لئلا يعلم هؤلاء بالمصيبة والعار الذى حل بهم.

ما هو السحر ؟

السحر مصطلح عام يستعمل لوصف فعالية تقوم بتغيير حالة شىء ما أو شخص ما فى نطاق التغيير الذى يمكن للشىء أو الشخص أن يتعرض له وقد يعتمد على خرق قوانين الفيزياء فى بعض الحالات، وهناك على الأغلب إلتباس بين السحر وخفة اليد والشعوذة وتستعمل كلمة السحر كمرادف لجميع هذه المصطلحات التى تختلف عن بعضها البعض فخفة اليد هى فن ترفيهى يقوم بإيحاء إن شيئا مستحيلا قد حدث علما أن التغيير كان مصدره مهارة وخفة فى اليد. الشعوذة من جانب آخر يعتبر ما يعتقد القائمون به قدرتهم على استحضار قوى غير مرئية لتساعد فى حدوث تغييرات يتمناها شخص ما وتكون تلك الأمنيات على الأغلب تخلصا من خصم أو الحصول على قوة وتتم عملية الشعوذة عادة فى طقوس خاصة.

نظريات السحر :

هناك العديد من الفرضيات التى يؤمن بها التيار الذى يعتقد بوجود ظاهرة السحر واستنادا الى هذا التيار فإن السحر قد يمكن تفسيره بإحدى هذه العوامل:

- قوى طبيعية فيزيائية لم يتم اكتشاف ماهيتها حتى الآن وحسب هذه الفرضية هناك قوة خامسة بالإضافة إلى القوى الأربع المعروفة إلا وهى الجاذبية كهرومغناطيسية، التفاعل بين الكواركات وبقية أجزاء الذرة التى تسمى بالتفاعلات القوية وأخيرا التفاعلات الضعيفة فى نواة الذرة التى يمكن تحليلها عن طريق فيزياء الجسيمات

- قوى روحية نابعة من اعتقاد البعض أن الكون يحوى مخلوقات تتصف بالذكاء وليست من جنس الإنسان.

- القوة الغامضة الموجودة فى كل مكان مثل (مانا) التى يعرفها البعض بمكون رئيسى لتلك القوى الغامضة و(نومينا) التى يمكن تعريفها بالقوة الغامضة الموجودة فى كل شىء .

- الترابط الغامض بين القوى الكونية التى تربط وتنظم الأشياء

د. علاء فرغلى

إستشارى الطب النفسى

بصورة منافية لقوانين الذى الطبيعية.

- القوة غير الطبيعية الناتجة من التركيز أو التأمل العميق التى تؤدى حسب البعض إلى تحكم الدماغ بالأشياء مثلما يحدث عند ممارسة اليوجا أو التخاطر.

ما هى العلاقة بين السحر والشعوذة؟

تسمى الشعوذة أيضا بالسحر ويمكن اعتبارها فرعا من فروع السحر الذى يستند على استحضار ما يسمى بالقوى الشريرة أو قوى الظلام التى يطلب مساعدتها عادة لإنزال الدمار أو إلحاق الأذى أو تحقيق مكاسب شخصية.

وهناك انطباع قديم خاطئ أن بعض السحر هدفه الخير (السحر الأبيض) ويلاحظ هذا الانطباع فى كتابات عديدة ومن أحدثها وأكثرها انتشارا قصص هارى بوتر. كان الاعتقاد السائد بأن للمشعوذ بالفعل قدرة على إنزال المرض أو سوء الحظ أو العقم وحالات أخرى ولايزال هذا النوع من الاعتقاد سائدا فى العصر الحديث بصورة محدودة لدى البعض.

السحر والأديان :

حرّم الدين الاسلامى السحر والشعوذة ويعد الساحر كافرا ومن أتاه وصدقه. من جهة أخرى كان الاعتقاد بدور السحر كعامل فى التأثير على الطبيعة وما وراء الطبيعة سائدا فى معظم الديانات التى كانت سائدة قبل الديانات التوحيدية وخاصة فى الديانة الزرادشتية التى كانت عاملا مهما فى الاعتقاد بوجود كينونة الشر التى هى فى صراع أذلى مع كينونة الخير ويعتقد أن كلمة السحر بالإنجليزية Magic قد أتت من أفراد قبيلة ماجاى الميدية اللذين كانوا رجال الدين الرئيسيين فى الديانة الزرادشتية ويرجع بعض المؤرخين جذور السحر فى إطار دينى الى فترة العصر الحجرى الحديث حيث كان الانتقال من حياة التنقل إلى حياة الزراعة والاستقرار دور فى تحول رئيس القبيلة إلى ملك والمؤمن بالخرافات والأساطير والعلوم الخفية إلى كاهن كانت مهمته نقل تعليمات الإله إلى المجتمع ومن المعروف أن أشهر مدارس السحر هى مدرسة الكابالا اليهودية .

ما هى التعويذة؟

التعويذة عبارة عن كلمات أو كتابات مخلوطة بمواد خاصة يقوم بتحضيرها الرجل الدينى فى طقوس خاصة وكان هدف التعويذة يتراوح من تغيير للمستقبل إلى

السيطرة على شخص ما أو عامل ما وكانت هذه التعاويذ عادة ما تتم تحت مزاعم استحظار قوى إلهية وغالبا ما كانت التعويذة تتم على مراحل منها:

١ - التحضير بأيام قبل طقوس التعويذة بالصوم أو الصلاة.

٢ - تهيئة جو خاص بالطقوس باستعمال روائح خاصة أو مواد معينة مثل الأبخرة كان أتباع دين معين يعتقدون باحتوائه على قوى خارقة.

٣ - إلقاء التعويذة وتقديم القرابين.

هناك إجماع على أن مفهوم السحر فى الديانات القديمة كان نابع من عدم إدراك الإنسان لقوي الطبيعة وعدم وجود تحليل علمي لظواهر كانت تعتبر غامضة للإنسان القديم. بصورة عامة كان استعمال السحر من منطلق دينى نابعا من ايمان صاحب الدين بقدرة الإله فى تغيير حياته ومصيره وكانت الطقوس السحرية من هذا المنظور دعاء الشخص للإله بالتدخل. ويمكن ملاحظة هذا فى تشابه إلي نوع ما لفكرة الدعاء والصلاة وتقديم القرابين فى ديانات متعددة لاتزال تمارس لحد هذا اليوم حيث إن فكرة طلب المساعدة من الخالق الأعظم هى نفس الفكرة القديمة ولكنها أكثر عمقا وفلسفية من الديانات البدائية.

المرأة العربية والسحر والخرافة:

وفقا لدراسات علمية ميدانية فإن نصف النساء العربيات يؤمن بالسحر والخرافة، وحوالى نصف مليون دجال يمارسون أنشطتهم سرا وعلانية فى الدول العربية، فيما ينفق العرب نحو ٥مليارات دولار سنويا على المشعوذين، كما بينت الدراسة أن مئات الآلاف من العرب يدعون علاج الأمراض بتحضير الأرواح وبالقرآن والكتاب المقدس، والناس لا يلجأون الى الخرافة ويتعلقون بأوهامها إلا حين تضيق فى وجوههم أبواب الأمل، وتحاصرهم الشدائد، وكشفت الدراسات أن هناك أعدادا متزايدة من الدجالين ليصل الأمر بحسبة بسيطة إلى معدل دجال لكل ألف عربى.

العلاج النفسى بين الطب والشعوذة:

تأخرت فى الزواج.. إذن هناك عمل لها ، فلتذهب إلى العراف ليبطل هذا العمل!! هناك مشكلات مع زوجها.. إذن هى مسحورة ومعمول لها عملا ، فلتذهب إلى الدجال والعراف ليفك السحر ويبطل العمل!! ابنها متمرد لا يسمع الكلام أو منحرف أخلاقيا ربما يكون مسحورا أو ممسوسا فلتذهب به إلى العراف والدجال ربما ربنا يهديه ويهدأ باله عندما يبطل العمل وينفك السحر!! هكذا أصبح حال الكثيرين من المجتمع لا هم لهم سوى فك العمل، حتى ارتادوا أوكار العرافين والدجالين دون وعى أو تفكير.

لا يصح أبدا ومن غير اللائق المقارنة بين الشعوذة والدجل وبين العلاج النفسى فالأول أمر لا يصح عقلا ولا شرعا ويعاقب مرتكبه فى الدنيا والآخرة أشد العقاب، والثانى أمر تقترن به كليات الطب المتخصصة، وعلم مبنى على نظريات وأبحاث، وله تراخيص قانونية، وله فروع دولية فى الأمم المتحدة وجمعيات عالمية ومحلية، وتعتبر مهنة الطب النفسى من أعلى المهن دخلا فى الدول المتقدمة، وعياداتهم عليها طلب وضغط كبير، والأمر الأول (الشعوذة) هو صفة للتخلف والجهل، والثانى سمت حضارى، فكيف تتم المقارنة بينهما لمجرد اشتباه بأن المرضى هناك وهناك يعانون من أعراض مشتركة!

أما عن أهم أسباب انتشار ظاهرة الشعوذة :

الجهل بكثير من الأمور ولو أن الناس رجعوا الى كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لأدركوا خطأ ما يفعلون فعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من أتى كاهنا أو ساحرا وصدقه فقد كفر بما أنزل على محمد».

كما أن الخوف من وهم المرض النفسى من الأسباب المهمة، حيث إن كثيرا من الناس يلجأ للدجالين خوفا من أن يوهم هو أو أحد أبنائه بأنه مجنون. وهذا يؤثر على مستقبله - أو مستقبلها - من ناحية الزواج والعمل والحياة الاجتماعية فمن السهل القول إنه تلبس فلان أو فلانة جنى، ومن الصعب القول إنه مريض نفسى فالجن قوة خارقة تستطيع أن تفعل ما تريد أما المرض النفسى فهو الجنون. وهذا الموضوع يطرح كثيرا فى الصحف والمجلات والإذاعة والتليفزيون ويتناقله الناس فى المجالس والصالونات أحاديث بعضها خيالى وأكثرها حقيقى..! إنها الشعوذة التى يقوم بها بعض من يدعون أنهم يعالجون المرضى النفسيين والعقليين، وحقيقة الأمر أنهم لا يعالجونهم، بل يعذبون المرضى بأساليب علاج ربما تكون أقرب إلى الجرائم منها إلى ممارسة علاج أو مساعدة.

ولعل ما زاد الطين بلة أن الفضائيات التليفزيونية دخلت فى الأمر بحثا عن التشويق على حساب الحقيقة.. طبعا ليس جميع القنوات الفضائية، ولكن أستطيع القول بأن الأغلب من هذه القنوات تعاملت مع هذا الموضوع الحساس بأسلوب غير مهنى وغير موضوعى بحثا عن الإثارة والتشويق وجذب المشاهدين.

ومن الواجب على أن ذكر بعض الحقائق العلمية الهامة، التى تمثل وجهة نظر الطب النفسى فى هذه المسألة..وهى :ليس الشيطان هو السبب الأساسى للإصابة بالأمراض النفسية، وأسباب هذه الأمراض ترجع الى اكتشافات الطب النفسى إلى جوانب كبيرة منها، وتوصل إلى علاجها بعيدا عن أى قوى خفية.. القضية هنا فى هذا الحيز المحدود بعيدة عن أى جدل فى السحر والشعوذة.

والمطلوب هو حملة توعية لتوضيح الحقائق حتى لا يختلط العلم والإيمان بالخرافة والدجل والممارسات التى يقوم بها أدعياء الطب والدجل والشعوذة باستغلال معتقدات الناس حول الشيطان وعلاقته بالمرض النفسى يجب أن يتم وضع حد لها بعد أن تطور الطب وتوصل الى كشف الكثير عن أسباب وعلاج هذه الحالات.